

الفصل الخامس

الجانب الأوبي و عناية الحوفي به

هذا الجانب شديد الصلة بالجوانب السابقة عليه فلكي يكتمل منهجه في التفسير جاءت عنايته بالجانب الأدبي ذلك الجانب الذي يمكننا أن نلمسه عند الحوفي من خلال اتجاهات ثلاث:

الإنجاء الأول: عنايته بقضية الإعجاز القرآني:

يبين الحوفي في عرضه لقضية الإعجاز القرآني معجزة النبي محمد صلى الله عليه وسلم كالمعجزات السابقة للأنبياء السابقين على محمد، لأن الله سبحانه وتعالى : حين ابتعث الرسل ابتعثهم بآيات تدل على صدق نبوتهم وأنهم مصطفون من قوة فوق قوة البشر وكانت هذه المعجزات المناصرة للأنبياء من جنس ما برع فيه قومهم، فموسى كانت معجزته من جنس السحر الذي برع فيه قومه، و عيسى كانت معجزته الطب لبراعة قومه فيه، و محمد معجزته البيان لأنه مبعوث إلى قوم فصحاء أبناء^(١).

نزل القرآن إلى العرب و تحداهم أن يأتوا بمثله و جعل عاقبة هذا التحدي أمانة صدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾^(٢).

من هذا المنطلق جاءت عناية الحوفي بقضية الإعجاز ففي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣).

١ - د. مصطفى الصاوي الجويني: منهج الزمخشري في التفسير ١٩٧.

٢ - سورة الطور آية ٣٤.

٣ - سورة البقرة آية ٢٣.

يقول: وإن كنتم أيها المشركون في ريب مما نزلنا على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم من النور والبرهان وبآيات القرآن أنه من عند الله وأنه الذي أنزله إليه فلم تؤمنوا به ولم تصدقوه فيما يقول فأتوا بحجة تدفع حجته لأنكم تعلمون أن حجة كل نبي على صدقه أن يأتي ببرهان يعجز أن يأتي بمثله جميع الخلق ومن حجة محمد على صدقه وبرهانه عجز جميعكم وجميع من تستعينون به من أعوانكم أن يأتي بسورة من مثله وإذا عجزتم عن ذلك وانتم أهل البراعة والفصاحة فقد علمتم أن غيركم عنه اعجز وأنه مثل ما تقدم من معجزات الرسل قبله فيجب حينئذ أن محمداً لم يتقوله ولم يخلقه لأن ذلك لو كان اختلافاً مقولاً لم يعجزوا عن الإتيان بمثله لأن محمداً بشراً مثلكم وإذا كان الأمر على هذا فلم تكلفوا أن تأتوا بسورة من غير اللسان الذي هو نظير اللسان الذي نزل به القرآن فيعتذروا أن يقولوا كلفتنا ما لو أحسننا أتيناه به، ولكنه قال آتوا بسورة من مثله من الألسن ألسنتكم، وانتم إن كان محمد اختلقه وافتراه إذا اجتمعتم وتظاهرت بالإتيان بمثل سورة منه من لسانكم وبيانكم اقدر على اختلاقه ووضعه وتأليفه من محمد عليه السلام، وإن لم تكونوا أقدر عليه وأنتم جميع، فلم تعجزون عما يقدر عليه محمد وهو وحيد إن كنتم صادقين في دعواكم وافتراءك أن محمداً افتراه واختلقه وأنه من عند غير الله^(١).

والحوفي في هذا الجانب يميل إلى منهج المتكلمين في الاستقصاء والاستدلال، إلا أنه يبيِّن عجزهم بدليل عدم مقدرتهم على الإتيان، وما داموا غير قادرين على ذلك وهم جميع فمن باب أولى ألا يقدر محمد على ذلك وهو وحيد، يقول: إن كنتم محقين في جحودكم أن ما جاء به اختلاق وافتراء لمتحنوا أنفسكم وغيركم هل تقدرين على أن تأتوا بسورة من مثله فيقدر محمد على أن يأتي بجميعة من قبَل نفسه اختلافاً وهذا مثل دعاة الجاهلية كما قال الشاعر:

ولما ألتقت فرساننا ورجالهم *** دعوا يالكعب واعتزينا لعامر^(١)

وفي هذه الآية برهن الحوفي على قضية الإعجاز إذ بين:

أ. عدم قدرة الخلق على الإتيان بمثل معجزة أي نبي يقول: تعلمون أن حجة كل نبي على صدقه أن يأتي ببرهان يعجز أن يأتي بمثله جميع الخلق.

ب. عجزهم على الإتيان بسورة من مثله دليل على عجز غيرهم من الإتيان به يقول ومن حجة محمد على صدقه وبرهانه عجز جميعكم وجميع من تستعينون به من إخوانكم أن يأتوا بسورة من مثله وإذا عجزتم عن ذلك وانتم أهل البراعة والفصاحة فقد علمتم أن غيركم عنه أعجز.

ج. اتفاق لسان محمد ولسانهم دليل على عجزهم وعجز جميع الخلق على الإتيان بسورة من مثله.

وهذا دليل على صحة النبوة بما جعله الله في القرآن من الإعجاز على أن يعارضه احد من الناس إذا كانت تدل على معجزة باقية في كل زمان يستدل بها في كل عصور أوان^(٢).

والحوفي يستدل بدليل آخر على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ففي ذكر قصة بني إسرائيل يبيّن أنه قد يجيء لفظ في موضوع على معنى وفي آخر على غير ذلك المعنى يقول "وما تكرار ذكر العجل ورفع الطور وقتل الأنبياء مع تقدم ذكر ذلك فإنما ذلك لأنه قد يجيء في موضوع على معنى وفي آخر على غير ذلك المعنى فيكون الموضوع الأول ليعلم الناس واليهود أن الله قد أطلع نبيه على أسرارهم وأخبارهم، وهو أمي به لا يقرأ الكتب فيكون ذلك دلالة على صحة أمرة،، وإعادة ذلك في الموضوع الآخر على جهة الحاجة لهم لأنه هاهنا جواب واحتجاج لما ادعوا أنهم مؤمنون بما انزل الله عليهم فقال الله لنبيه قل لهم فلم

١ - الحوفي: نفسه ٩١/١.

٢ - الحوفي: البرهان ٩١/١.

تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين، ويجوز أن يكون هذا من بلاغات القرآن فيجيء على ألفاظ ومعان متفقة، لأنهم تحدوا به أعني العرب الفصحاء لئلا يقولوا سبقت إلى اللفظ الفصيح الذي ليس أفصح منه، فجاء مكرراً في مواضع كثيرة من كتاب الله لدفع دعاويهم في تخير الألفاظ والسبق إليه فتكراره على لفظ يعجز البشر مع تكراره دليل على أنه من عند الله^(١).

فالحوفي في هذا الجانب يضيف أدلة جديدة إلى الدليل الأول وهو: أن الله أطلع نبيه على أسرارهم وأخبارهم وهو أمي لا يقرأ الكتب، فمن أين علم أخبارهم، ففي قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

يقول: فهذا تنبيه للمشركين من العرب وإن كان ليس لهم كتاب فإن بني إسرائيل بين أظهرهم وهم أهل الكتاب وفيهم نزلت الآيات، فأخبرهم بذلك ليتعرفوا علمه من قبلهم فقال: ﴿...وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٣). يها الكافرون المكذبون بمحمد و بما جاء به وفي هذا أكبر الحجة والدلالة على نبوته و صدقه لأن هذا أيضا ليس من علم العرب و منشأه و منتهاه معروف أي محمد لأنه لم يقرأ كتاباً و لم يخرج إلى من يقرأ الكتب فيعلم أن هذا لا يكون إلا من قبيل الله عزوجل^(٤).

إلى جانب هذا بلاغة القرآن و كما بيّنها الحوفي و بيّن أن منها التكرار يقول فتكراره على لفظ يعجز البشر حتى أن الكفار من قريش حين عرفوا استيلاء القرآن على النفوس وخاصة تلك التي تقدر الجمال " جمال البيان " قدره منعوا عنه الشعراء و حالوا - جهدهم -

١ - الحوفي: البرهان ٨٦/٢.

٢ - سورة البقرة آية ٧٣.

٣ - سورة البقرة آية ٧٣.

٤ - الحوفي: البرهان ٢٢٧/١.

بين الفصحاء وبينه، قال تعالى (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) (١). (٢).

وكما أن القرآن معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أمي لا يقرأ، وأنهم أي الكفار والمشركين عجزوا عن الإتيان بمثله أو بسورة من مثله، إلى جانب إخبارهم بأسرارهم الماضية، وببلاغة القرآن التي عجزوا أمامها وهم أهل فصاحة وبلاغة، جاء بدليل آخر وهو الإخبار عن الغيوب المستقبلية، ففي قوله تعالى ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٣). يقول بعد أن بيّن قوله تعالى ﴿...وَلَنْ تَفْعَلُوا...﴾ أي لا تقدروا أن تأتوا بسورة من مثله أبداً: ولن تفعلوا فأخبر بأمر لا يكون فكان كما أخبر، ويزيد الأمر توضيحاً فيقول وقد تضمنت الآية الزجر عن الكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم مع ظهور آيته وقيام حجته ومعجزته التي أبانها الله بها من جميع خلقه ليدل على صدقه، ودلت الأخبار بالغيب بقوله ﴿...وَلَنْ تَفْعَلُوا...﴾ فكان الأمر كما أخبر به لأن لو قال لن يقوم أحداً من مكانه في يومه وغده وكان الأمر في ذلك على ما تقدم به الأخبار لظهر من جهة العلم بالغيب الإعجاز، وفي ذلك الحجة البينة والدلالة الواضحة (٤).

وفي قوله تعالى ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٥). يقول: وهذه الآية خبر من الله عز وجل على اليهود وكراهيتهم الموت وامتناعهم من الإجابة إلى ما دعوا إليه من تمني الموت لعلمهم بأنهم إن فعلوا ذلك فالوعيد بهم نازل

١ - سورة فصلت آية ٢٦.

٢ - د. الجويني: منهج الزمخشري في تفسير القرآن ٢٠٠.

٣ - سورة البقرة آية ٢٤.

٤ - الحوفي: البرهان ٩٤/١.

٥ - سورة البقرة آية ٩٥.

والموت بهم واقع وقد تضمنت الآية الإخبار بغيب كان مخبره على ما تقدم الخبر به وفي ذلك الآية للنبي صلى الله عليه وسلم مضافاً إلى الآية المتقدمة لأنه لو تحداهم فلن يعارضوه كان آية له وإن لم يخبر فإذا أخبر ففي ذلك بيان آية أخرى^(١).

والحوفي بما ساقه من الأدلة التي جاءت في موضعها وهي كثيرة للدلالة على وجوه إعجاز القرآن، قد التزم منهج الأشاعرة في بيان وجوه الإعجاز، الذي تميز بثلاثة وجوه: أولها: ما تضمنه القرآن من الإخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه.

الوجه الثاني: أنه أتى بجمل ما وقع وحدث من عظيمات الأمور، ومهمات السير في حين خلق الله آدم إلى مبعثه، مع أنه كان أمياً لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ ولم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنباءهم وسيرهم.

الثالث: أنه بديع النظم وعجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه^(٢).

والحوفي يكشف الوجه الإعجازي من خلال سياق الآية القرآنية ولذلك جاءت معالجته لقضية الإعجاز في مواضع كثيرة من تفسيره، ولم يكن صنيعه مثل ما خصص لتلك القضية دراسات مستقلة كالخطابي والروماني والبلقاني وغيرهم^(٣).

أو من أشار إليها في مقدمة تفسيره كالقرطبي حيث أفرد بحثاً مستقلاً في مقدمة تفسيره حدّد فيه الأقوال التي جاءت حول الإعجاز القرآني وحقيقة المعجزة وشروطها^(٤).

١ - الحوفي: البرهان ٩٠/٢ - ٩١.
٢ - الباقلائي: إعجاز القرآن ٦٩.
٣ - ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن.
٤ - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٦٩/١.

الإنباء الثاني: الجوانب البلاغية:

الجوانب البلاغية مبحث أصل في قضية الإعجاز القرآني، فقضية الإعجاز الدياني دارت حولها المباحث الجادة، ولقد كان للمتكلمين فضل السبق في بحث هذا الجانب، فالجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ يرى أن القرآن معجز بنظمه وقد تحادهم بهذا النظم المعجز^(١).

والرمامي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ قال أن القرآن معجز ببلاغته و حد البلاغة: أنها إيصال المعنى إلى القلب في حسن صورة اللفظ، فأعلاها طبقة من الحسن بلاغة القرآن وعلى طبقات البلاغة معجز العرب والعجم كإعجاز الشعر للمفحم خاصة كما أن ذلك معجز للكافة^(٢).

وروى الخطابي المتوفى سنة ٣٨٥ هـ أن الوجه الأول في الإعجاز القرآني هو الإحاطة الإلهية بأسرار اللغة حتى جاء القرآن معجزاً لفظاً ومعنىً ونظماً، يقول الخطابي: وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأمر منها أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وبأوضاعها التي هي ظروف المعاني والحوامل لها ولا تدرك أفاهمهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ ولا تكتمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظم^(٣).

وكما قال البلقاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ من: أن الوجه في إعجاز القرآن أنه نظم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلامهم ومباين لأساليب خطابهم ليس من قبيل الشعر ولا السجع ولا الكلام الموزون غير المقفى ولهذا لا يمكن معارضته^(٤).

ما من شك في أن الحوفي استفاد من السابقين عليه في بيانه للجوانب البلاغية للنص القرآني وربطها بقضية الإعجاز القرآني، وهو كما بيَّنا لكم لم يقصد إلى التأليف في ذلك كعلم مستقل بل عالجه في أثناء تفسيره للآي القرآني.

١ - د. الجويني: السابق ٢٠٦.

٢ - د. الجويني: منهج الزمخشري في تفسير القرآن ٢٠٧.

٣ - د. الجويني: نفسه ٢٠٨.

٤ - د. الجويني: نفسه ٢٠٨.

فمن بلاغة القرآن:

في قوله تعالى: ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ... ﴾ (١)

يقال لما كرر ذكر العجل ورفع الطور وقتل الأنبياء، مع تقدم ذكره فإنما ذلك قد يجيء في موضع على معنى وفي آخر على غير ذلك المعنى. والحوفي بعد أن بيّن معناه يقول: ويجوز أن يكون هذا من بلاغات القرآن، فيجيء على ألفاظ مختلفة ومعاني متفككة، لأنهم تُحَدُّوا به أعني العرب الفصحاء لئلا يقولوا سُبِّقَتْ إلى اللفظ الفصيح الذي ليس أفصح منه فجاء مكرراً في مواضع كثيرة من كتاب الله لدفع دعاويهم في تخير الألفاظ والسبق إليها فتكراره على لفظ يعجز البشر مع تكراره دليل على أنه من عند الله (٢).

التكرار:

في قوله تعالى: "الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ" (٣) يقول: لما كرر ذكر الرحمن الرحيم. الجواب المبالغة والتوكيد على أن لله من النعم ما لا يفي به من نعمة منعم فجرت على كلام العرب إذا أرادوا الدلالة على المبالغة قال الشاعر:

هلا سألت جموع كندة يوم ولوا أين أيننا (٤)

وكما قال الآخر:

كم نعمة كانت لكم كم كم وكم (٥)

و أنت تقول في الكلام: أذهب أذهب، أعجل أعجل ليدل على المبالغة، فقد زعم بعضهم أنه إنما كرر لأن بسم الله الرحمن الرحيم ليس من سورة الحمد، هذا القول لا وجه

١ - البقرة آية ٩٣.

٢ - الحوفي: البرهان ٨٦/٢.

٣ - الفاتحة من الآية ١.

٤ - الحوفي: البرهان ١١/١.

٥ - جاء في لسان العرب أن: كم اسم و سؤال عن عدد، و هي تعمل في الخبر عمل رب، إلا أن معنى كم التكرير، و هي مُعْنِيَةٌ عن الكلام الكثير المتناهي. (راجع ابن منظور: "اللسان مادة كَمَمَ".)

له إذا كان تقارب ما بينهما قد حصل فسواء كان في سورة واحدة أو سورتين أو ما هو بمنزلة السورتين ألا ترى أنه لو طال الكلام وتبعد ما بينهما في سورة واحدة وكان بمنزلة ذلك ما هو من سورتين متباعدتين، وزعم بعضهم أنه على التقديم والتأخير، كأنه قال الحمد لله الرحمن الرحيم رب العالمين، واعتل في ذلك بأن العالمين مع مالك يوم الدين أشكل به والرحمن الرحيم مع الحمد لأنه نقيض يدل على ذلك، وزعم بأنه بمنزلة قوله جرير في التقديم والتأخير.

طاف الخيال وأين منك لما ما *** فارجع لزورك بالسلام سلاماً^(١)

أي طاف الخيال لما وأين منك، هذا غلط من قبل أن الكلام إذا صح أن يكون في موضعه لم يجز أن يعني به غير موضعه وذكر العالمين في موضعه حسن جميل لأنه جل وعز لما دل على الأمر بالحمد وصله بذكر ما يجب به الطاعة في الأمر ثم أتبع ذلك بما يستحق به الحمد وكان ذلك في نهاية الحسن^(٢).
(التصرف في الكلام:

في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٣) يقول: يقال لم كُرت إياك الجواب: لأنها قامت مقام الكاف في نعبدكم ونستعينك ولو قلت نعبد ونستعين لم يكن وجه الكلام لأنه ليس فيه إفصاح للمعنى، يقال: لم قيل: مالك يوم الدين علة لفظ الغائب ثم قيل: إياك نعبد على لفظ المخاطب، الجواب: فيه وجهان: أحدهما: على حذف القول بمعنى قولوا الحمد لله، قولوا إياك نعبد وإياك نستعين، والوجه الآخر: إن شأن الرعب أن يصرفوا من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة للتصريف في الكلام و

١ - ديوانه: قصيدة لا مسلمين و لا كراماً" يهجو الفرزدق " ٤٤٤ .

٢ - الحوفي: البرهان ١/١١ .

٣ - الفاتحة آية ٥ .

الاتساع فيه كما قال : ﴿... حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَكُمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ...﴾ (١)، وقال كثير الهذلي (٢):

يا لهف نفسي كان جدّه خلدٍ **** وبياض وجهك في التراب الأعفر
وقال لبيد (٣):

بانث تشكى إلى النفس مجهشة **** وقد حملتك سبعت بعد سبعينا (٤)
سبعينا (٤)

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ
حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ
مُعْرِضُونَ﴾ (٥)، يقول: ويقال لما جرى الخطاب يقولوا بعد الإخبار، الجواب: إن
إن هذا على التصرف في الكلم كما قال عنتره:

شطت مرار العاشقين فأصبحت **** عسراً على طلابك ابنة محرم (٦)
فجاء على الإخبار ثم الخطاب، قال آخر:
أسيئي بنا أو أحسني ولا ملومة **** لدينا ولا مقليمة إن تقلت

١ - سورة يونس آية ٢٢.

٢ - ديوان الهذليين: ١٠١/٢ في المطبوعة.

٣ - ديوان لبيد ٤٦.

٤ - الحوفي: البرهان ١٨/١ - ١٩.

٥ - سورة البقرة آية ٨٣.

٦ - البيت لعنتره و يروي:

حلّت بأرض الزائرين فأصبحت **** عسراً على طلابك ابنة محرم

" شرح المعلقات السبع للزوروني ١٦٤".

جاء على الخطاب ثم الإخبار، ويقال: كيف جاء: " وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل على الإخبار، ثم جاء بعده: لا تعبدون إلا على القسم أو على النهي ولفظه لفظ الخبر الجواب: للحكاية ثلاثة أوجه: حكاية اللفظ والمعنى، كقولك: قال زيد عمرو عالم. الثاني: حكاية على المعنى يقوم مقام المحكي من غير تأدية الصورة بعينها كقولك: قال زيد عمرو عارف، فجعلت عارفاً موضوع عالم. الثالث: على المعنى بما ليس بمنزلة الأول لكنه يفهم منه معناه كقولك: قال زيد عمرو من العلماء، وإنما كأنما قال عمرو عارف فهذا يفهم منه لا تعبدوا إلا الله، والله لا تعبدوا إلا الله (١).

التقديم و التأخير:

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ (٢)، يقول: فإن قيل كيف جاء قوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ (٣) بعد أمرهم بذبح البقرة، وهم إنما أمروا بذبح البقرة بعد أن تداروا أو تنازعوا، الجواب: إن البلاغة ليس توجب أن تكون هذه الأمور مرتبة في الأخبار على حسب ترتيبها في وقوعها ولكن قد يقدم بعضهم ويتأخر على حسب السبب الذي يقضي تقديم ذلك وتأخيره فيكون ذلك حينئذ ابلغ فيه وكل ذلك مع العلم في التقديم والتأخير (٤).

الحقيقة و المجاز:

ففي قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ...﴾ (٥) يقول قال الله عزوجل ﴿...فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٦) (٧).

١ - الحوفي: البرهان ٦٢/٢ - ٦٣.
٢ - سورة البقرة آية ٧٢.
٣ - سورة البقرة آية ٧٢.
٤ - الحوفي: البرهان ٤٠/٢ - ٤١.
٥ - سورة البقرة آية ٧٩.
٦ - سورة البقرة آية ٧٩.
٧ - الحوفي: البرهان ٥٤/٢.

و معنى يكتبون الكتاب بأيديهم فإنما ذكرت الأيدي وإن كانت الكتابة لا يكون إلا بأيدي فيما ذلك الفرق بين المجاز والحقيقة، وذلك انك تقول: كتب فلان كتاباً وإذا أمر به ولم يتوله بنفسه فليل بأيديهم ليعلم أنه يتولونه بأنفسهم ولم يأمرؤا جهالهم مثله قوله عزوجل (...وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ...)^(١) لأنك تقول للإنسان طر في حاجتي، فقال بجناحيه لا الفرق بين الإنسان والطائر^(٢).

(الحذف):

في قوله تعالى ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ...﴾^(٣)، يقول روي عن الربيع بن انس قال: الذين أنعم عليهم النبيون، قيل جميع الناس فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم قل يا محمد أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك من ملائكتك وأنبياءك والشهداء والصالحين والصديقين، وحذف هذا لدلالة الظاهر عليه لأن من شأن العرب الاجتزاء ببعض كلامهم من بعض وإن كان فيما بقي دليل على ما ألقى، ومنه قول النابغة:

كأنك من جمال بني أقيش **** يقعقح خلف رجليه بشن
يريد كأنك جمل من جمال بني أقيس فحذف للدلالة^(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿...وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(٥).

١ - سورة الأنعام من الآية ٣٨.

٢ - الحوفي: البرهان ٥٤/٢.

٣ - سورة الفاتحة من الآية ٧.

٤ - الحوفي: البرهان ٢٥/١.

٥ - سورة البقرة آية ٤٥.

يقول الهاء في إنها تعود إلى الصلاة و من قال هي عائدة على الصلاة و قد تقدم ذكر الصبر و قال في الكلام حذف، كما قال عزوجل (وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَمًّا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا...) (١). ولم يقل إليهما، قال الشاعر:

نحن بما عندنا و أنت بما عندك راض و الرأي مختلف

يريد نحن راضون بما عندنا و أنت راض بما عندك، ثم حذف للعلم به، لأن ما بقي دليل على ما ألقى، و قيل هي عائدة على الأمور المفروضة التي أمروا بها من الصلاة و إيتاء الزكاة و الصبر على المحارم، و قيل هي عائدة على إجابة النبي و إن لم يجري بها ذكر لما في الكلام من الدلالة عليها (٢).

وفي قوله تعالى ﴿... وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجَلَ...﴾ (٣)

قال الربيع بن أنس و قتادة و أبو العالية اشربوا حب العجل، كما قال عزوجل و إسأل القرية أي أهل القرية كقوله تعالى " لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ " أي بر من آمن فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه و هو كثير في القرآن و اللغة فحذف فيها الشيء مع العلم به (٤).

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِعَايَتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥)، يقول و الجواب لو محذوف لعلم السامع، في الحذف معنى المبالغة لاتساع التأويل (٦).

- ١ - سورة الجمعة آية ١١.
- ٢ - الحوفي: البرهان ١٥٣/١.
- ٣ - سورة البقرة آية ٩٣.
- ٤ - الحوفي: البرهان ٨٥/٢.
- ٥ - سورة الأنعام آية ٢٧.
- ٦ - الحوفي: البرهان ٣١/١٠.

والحوفي يبيّن القيمة الجمالية في تقدير الصورة البلاغية ففي قوله تعالى ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(١)، يقول: روي عن ابن عباس وعطاء و قتادة و مجاهد قال: الصيب المطر، وقال أبو جعفر والتقدير في العربية مثلهم كمثل الذي استوقد نارا أو كمثل صيب قال: المعنى: أو كصاحب صيب و أوهنا للإباحة أي التمثيل بهذه الأشياء ببعضها مباح لكم في المنافقين و الظلمات مضروبة لما في قلوبهم من النفاق و الرعد و البرق لما يخوفون به، و روي سنان عن قتادة قال البرق هو الإسلام و الظلمة: الفتنة و البلاء، وقيل: تقدير التشبيه أن المطر مشبه بالقرآن المنزل، ما فيه من الظلمات بما في القرآن من الابتلاء، و ما فيه من الرعد بما في القرآن من الابتلاء، و ما فيه من الرعد بما في القرآن من الزجر، و ما فيه من الصواعق بما في القرآن من البيان الذي ينتفع به المنافق من إظهار الإيمان و ما فيه من الصواعق بما في القرآن من الوعيد في الأجل و الدعاء إلى القتال في العاجل، و معنى هذا يروى عن ابن عباس، قيل في تقدير التشبيه قول آخر قيل: أنه المطر الذي هو في الغيث و فيه الحياة شبيهة بالإسلام لأنه ذلك و شبيهة بما فيه من الظلمات و في الإسلام المنافقين من أبطان الكفر، و ما فيه من الرعد بما في الإسلام من فرض الجهاد و خوف القتال و ما فيه من البرق بما في إظهار الإسلام من حقن الدماء و الاختلاط بالنفس في المناكحة و المورقة و الدفن، و ما فيه من الصواعق بما في الإسلام من الزجر بالعقاب في العاجل و الآجل و معنى هذا يروى عن الحسن^(٢).

١ - سورة البقرة آية ١٩ .
٢ - الحوفي: البرهان ٧٣/١ - ٧٤ .

و الحوفي بما بيّنه في هذه الآية من صور بلاغية دليل على براعته الأدبية و تمكنه من التخريجات البلاغية، ولقد أجمع العلماء و اتفق الأدباء على شرف التشبيه في أنواع البلاغة، وأنه إذا جاء في أعقاب المعاني أفادها كمالات و كساها حله و جمالا^(١). كما أن التشبيه يزيد المعنى وضوحا و يكسبه تأكيدا^(٢).

و هو في بيانه لهذا التشبيه التمثيلي أو التركيبي الذي شبه فيه المطر الذي ينزل من السماء بالقرآن المنزل من السماء، ثم رسم صورة تركيبية فالمطر بما فيه من ظلمات و رعد و برق و صواعق بالقرآن، و ما فيها من ابتلاء و زجر و بيان و وعد، ثم رسم صورة تقابلية بين تلك الأشياء الملازمة للمطر بما في القرآن، والحق أنك تحس بريشة الفنان الذي جمع بين أوجه التشبيه في صورة فنية رائعة تلك الأوجه التي جرت على موازين بلاغة التشبيه و هي:

١. إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه.

٢. إخراج ما لم تجربه العادة إلى ما جرت عليه.

٣. إخراج ما لا يعرف بالبدئية إلى ما لا يعرف بها^(٣).

كل ذلك لا يتم إلا لرجل غاص في أعماق الدرس الأدبي و أخرج لنا درره و مكنونه.

الإنهاء الثالث: الشواهد الشعرية:

لقد عني الحوفي بالشواهد الشعرية عناية فائقة و ذلك لأهميتها في فهم المعنى و ربطها بالإعجاز القرآني، ولذا ضمن تفسيره كثيراً من الشواهد التي استشهد بها في اللغة و النحو و القراءات و معنى التفسير و الأحكام الفقهية و الوقف و التمام مقتفياً آثار ابن عباس

١ - الزركشي: البرهان ٤١٤/٣.

٢ - أبو هلال العسكري: الصناعتين ٢٣١.

٣ - أبو هلال العسكري: نفسه ٢٣١ وما بعدها.

الذي يقول: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب (١).

ولما كان القرآن عربياً نزل بلغة العرب ولسانهم دلت على ذلك آيات عدة من القرآن الكريم منها قوله تعالى ﴿... وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (٢)، وقوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٣)، وقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ... ﴾ (٤)، نزل لهم القرآن الكريم بلغة العرب ولسانهم ونهج كلامهم، ولكي يقع الإعجاز فلقد جاء القرآن متفقاً مع ما جاء من كلامهم ومع ذلك خفي عليهم وفي ذلك حجة عليهم، ومع أن القرآن من جنس كلامهم لكنهم احتاجوا إلى فهم معانيه، فإذا أغلق عليهم لفظ من ألفاظ القرآن رجعوا إلى أشعارهم يلتمسون فهمها منه وهذا غاية في الإعجاز، والحق أن وصف القرآن بأنه من وعاء كلامهم وهو مع هذا معجزة لهم، يسموا بأدب القرآن إلى النذرة ويجعل من أعجازه وتحديه لفصحاء العرب مغزى سام جليل يجب أن نحرص عليه وان نستمسك به (٥) وسوف نقف على أمرين

الأمر الأول: كيف اتفق النص القرآني والبيت الشعري:

ليس المقصود بذلك أن النص القرآني من جنس أشعارهم أو هو شعر كأشعارهم فهذا الأمر نفاه القرآن نفسه. إنما المقصود به نفي معانيه وأخيلته، تلك التي تصور الأمور علي غير حقيقتها ولا يسلك فيها الشعر إلا مسلك العاطفة، وهو حر الخيال يذهب فيه كل

١ - السيوطي: الإتقان ١/ ١٥٧.

٢ - سورة النحل آية ١٠٣.

٣ - سورة يوسف آية ٢.

٤ - سورة إبراهيم آية ٤.

٥ - د. إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر ٣٠٤.

مذهب ويصوره في الصورة التي يرتضيها فنه وعاطفته ، وقد يصور الحق باطلاً والباطل حقاً ، أما القرآن فإنه يستخدم العقل والمنطق والنبي صلي الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى (١)

وإذا كان القرآن قد نزل بلسان عربي مبين، ونزل مصدقاً لما بين يديه ، فلا بد أن يكون متفقاً مع ألفاظهم لفظاً ومعنى ، وأوضح ألفاظ لهم ما وقع في أشعارهم ، وسوف نبين أمثلة ما جاء من أشعارهم ، وهذا يدلُّ عليه شعر ما قبل الإسلام .

ففي قوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (٢) يقول: الربُّ في الكلام السيد والمالك والمصلح والمدير قال ليبيد :

وأهلكن يوماً ربَّ كندة وابنه **** وربَّ معدِّين خبت وعرعر

يعني سيد كندة ، ويقال رب الدار ، ورب الفرس أي مالك ، وقال علقمة بن عبدة :

وكنت إمراً أفضت إليك ربابتي **** وقبلك ربتي فضعت رُبوب

رُبوب جمع رب ، أي الملوك الذين كانوا قبلك ضيعوا أمري ، وقد صارت الآن ربابتي إليك أي تدير وإصلاحه فهذا ربُّ بمعنى مالك .

هكذا بين الحوفي كيف اتفقت اللفظة في الآية القرآنية والبيت الشعري ، وان كان ذلك يقودنا إلي قضية قديمة وهي قضية النظم ، وبعدها عن الخلافات التي دارت حول تلك القضية نقول : أن قولنا بالاتفاق هو أن القرآن جاء موافقاً لكلام العرب وإن كان كلامهم يتفاوت ويتصف بالنقص عند التنقل من معني إلي غيره فان القرآن علي اختلاف فنونه وما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة والطرق المختلفة يجعل المختلف كالمؤتلف، والمتباين كالمتناسب ، والمتنافر في الأفراد إلي الحد الأحاد ، وهذا أمر عجيب

١ - د. إبراهيم أنيس : نفسه ٣٠٥ .

٢ - سورة الفاتحة آية ٢ .

تبين به الفصاحة وتظهر به البلاغة ويخرج معه الكلام عند حد العادة ، ويتجاوز العرف (١) .

واتفاق الألفاظ التي جاءت في النص القرآني مع ما جاء منها من الشعر الجاهلي دليل على إعجاز القرآن من جنس كلامهم بدليل اتفاقه وكلامهم بما جاء في أشعارهم إلا أنهم عجزوا عن أن يأتوا بسورة من مثله وهذا غاية في الإعجاز.

الأمر الثاني: اشر القرآن في البيت الشعري :

وهذا يتضح في شعر صدر الإسلام وما بعد ذلك إلى وقتنا ، فلقد اقتبس الشعراء من ألفاظ القرآن الكثير ، وبهذا الاقتباس يظهر أثر القرآن في الشعر العربي ، ومن أهم أثر القرآن أنه جمع العرب على لهجة قريش وقرب بينها وبين اللهجات الأخرى وجمع بينهما وأصبحت اللسان الأدبي على مدى العالم الإسلامي ، كل ذلك بفضل القرآن الكريم فهو الذي حفظ العربية من الضياع ونشرها في أقطار الأرض وجعلها لغة حية خالدة (٢) .

كما احل العربية معاني دينية جديدة لم تكن نعرفها من قبل ، كما أنه هدب اللغة من الحوشية واللفظ الغريب ، فأقمها في هذا الأسلوب المعجز من البيان والبلاغة (٣) . كل ذلك جعل العلماء والأدباء يهجرون لغاتهم المختلفة إلى لغة الصافية الشفافة (٤) فجاءت ألفاظ القرآن مع البيت الشعري في اللفظ والمعنى ، ولهذا استعان المفسرون بالبيت الشعري كشاهد لكشف المعنى ، والحوفي وأحد من المفسرون الذين استخدموا الشعر كوسيلة لفهم المعنى وإليك الأمثلة التي استعان بها الحوفي من الشواهد الشعرية : في قوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٥) ، يقول ومعنى يعمهون يترددون على مجاهد وابن عباس ، ويقال : عمه إذا حار وانشد أبو عبيد لرؤية (٦) :

١ - الباقلائي: إعجاز القرآن ٣٨.

٢ - د. شوقي ضيف: العصر الإسلامي ٣١.

٣ - د- شوقي ضيف: نفسه ٣٣.

٤ - د- شوقي ضيف: نفسه ٣٣.

٥ - سورة البقرة آية ١٥.

٦ - رؤية: هو رؤية بن الحجاج ولد سنة ٦٥هـ، وتوفي سنة ١٤٥هـ"راجع د- شوقي ضيف: العصر الإسلامي ٤٠١".

أطرافه في مهمة *** أعمى الهدى بالجاهلين العمه أي المتحررين

الحوفي يريد الوقوف علي المعنى يعمهون وهو يرجح القول بأن معنى يعمهون يتحiron ،ويستشهد بما جاء في قول رؤية بن العجاج بأن العمه التحرير ، ورؤية يقول عند الدكتور شوقي ضيف : أنه كان جبريا ، ويؤمن بأن عمل الإنسان قدر مقدر عليه لا مفر منه وأن الروح إلا الإسلامية قوية في شعره (١) ، وإذا كانت الروح إلا سلاميه قوية في شعره فذلك لتأثره بالنص القرآني واقتباسه من ألفاظه.

وفي قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ...﴾ (٢) ، يقول : وصلوات الله على عباده غفرانه ورحمته ، واصل الصلاة الثناء والدعاء من الناس ، ومن الله عز وجل الرحمة لعباده والثناء عليهم ، وجاءت الصلاة بمعنى الدعاء قول الأعشى :

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي *** نومًا فإن لجنب المرء مضطجعا
يروى مثل ومثل ، فمن نصب فإنه يأمرها أن تدعوله مثل دعائها أي بعد الدعاء ،
ومن رفع فهو رد عليها أي بذلك من الخير مثل الذي أردت . وقد جاءت بمعنى الرحمة
والثناء كما قال السفاح بن بكر اليربوعي :

صلي علي يحيي واشيا عه "رب كريم" وشفيع مطاع
أي عليه الترحم الثناء الجميل (٣) ، فالحوفي في كشفه عن المعني بيّن لنا أن النص القرآني
مهيّن لا ينضم يأخذ منه الأدباء والشعراء والعلماء ويظهر أثر ذلك في اتفاق اللفظ والمعني
بينهما .

١- د . شوقي ضيف : نفسه ٤٠٣ .

٢ سورة البقرة آية ١٥٧ .

٣ - الحوفي: البرهان ١٥/٣ .

وفي قوله تعالى (يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا...)^(١) يقول: فقال لا يألونكم خبالا أي يستطيعونكم شرًا ، يقول ألوت ألوألو أي لا يقصرون جهدًا قال الشاعر أبو العيال الهذلي :

جَهْدًا أَلَا تَأَلَوْا إِذَا هِيَ أَظْهَرَتْ **** بَصْرًا وَلَا مِنْ عَلَيْهِ تَغْنِينِي

أي لا تقصر بصراً يريد أنها جهداً ألا تستطيع عند الطهر إحصاراً، فهو يبني مدي

الارتباط بين البيت الشعري والنص القرآني عن طريق كشف المعنى .

وفي قوله تعالى ﴿...وَلَا تَزَالُ تَطَّلُعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنَّهُمْ﴾^(٢) ، يقول: وقوله تعالى ﴿...وَلَا تَزَالُ تَطَّلُعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾^(٣) أي ولا تزال يا محمد تطلع على اليهود نقضوا ميثاقي وكنثوا عهدي مع أيادي

عندهم ونعمي عليهم على مثل ذلك من الغدر والخيانة إلا من قليل منهم ، والخيانة يراد بها الخيانة يقال : رجل خائنة قال الشاعر :

حَدَّثتْ نَفْسِكَ بِالْوَفَاءِ وَلَمْ تَكُنْ **** لِلْغَدْرِ خَائِنَةً مَغْلٍ الْأَصْبَعِ

تقول : لا تجيء فتغلل إصبعك في المتاع أي تدخلها للخيانة ومغل بدل من خانية ،

ويجوز أن يكون المعنى جماعة خائنة أو فرقة خائنة وهو أشبه بالآية لأنه جرى ذكر جماعة فيجيب أن يكون الخبر مقابلاً لها^(٤) .

وفي قوله تعالى ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكَ لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾^(٥) .

١ - سورة البقرة آية ١١٨ .

٢ - سورة المائدة آية ١٣ .

٣ - سورة المائدة آية ١٣ .

٤ - الحوفي: البرهان ٩/٩ .

٥ - سورة الإنعام آية ٨ .

يقول: ومعنى القضاء الفصل ولو جاءت الآيات لم يأخروا بالعذاب وقال أبو ذئيب بالعمل والفصل في القضاء: وعليهما مسرودتان قضاهما داوود أو صنعوا السوابغ تبع^(١).

وفي قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا...﴾^(٢)، يقول: وقوله طائف من الشيطان وطائف أي وسوسة الشيطان

قال أبو عمرو: وقال غيره اللم وقال أبو عباس النزع أي يفهمه القلب، وقيل الطيف

الاسم مصدر من طاف يطيف حكي سماعا من العرب وينشد:

أَنْبِيَّ الْمَبْكِ الْخَيْلِ فِي طَائِفٍ **** ومطافه لك ذكره وشغوف^(٣).

وشاهداً علي صنيع الحوفي ارتأينا أن نبين بعض الشواهد الشعرية التي استفاد منها في الكشف عن المعنى وكيفية استفادته سواء في اللغة والقراءة أو في مسائل النحو أو في المعنى والتفسير أو في الأحكام الفقهية لتكتمل صورة منهجه الذي اعتمد عليه في تفسير النص القرآني.

أولاً: بعض الشواهد التي جاءت في اللغة والقراءة:

دلل الحوفي علي أن لفظ الجلالة "الله" مشتق من لاه واستشهد به الشاعر:

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسبٍ **** علي ولا أنت دياني فتخزوني^(٤).

أي ولا أنت مالك أمري فتوسني^(٥).

كما بين أنه يمكن إبدال الهمزة هاء يقول: "وفي إيالغة أخري وهي هياك" تبدل من الهمزة هاء قال الشاعر:

١ - الحوفي: البرهان ١٠/١٤.

٢ - سورة الأعراف آية ٢٠١.

٣ - الحوفي: البرهان ١٤/٤٨.

٤ - ذكر ابن هشام: أن هذا البيت من قول ذي الاصبع "مغني اللبيب ١/٤٨".

٥ - الحوفي: البرهان ١/٥.

فهيالك والأمر الذي إن توسعت **** موارد ضاقت عليك مصادره (١).

وفي قوله تعالى (وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ..) (٢) يستشهد الحوفي بقول الشاعر علي قوله "وعملوا" في اشتقاقها وتصريفها أن منها "اعتملا" فيقول : ينشد في اعتمل الرجل إذا عمل بنفسه :

إن الكريم وأبيك يعتمل **** إن يجد يوما على من يكتمل (٣).

أما شواهد القراءات فكثيرا اقتصرنا علي ما جاء في : قوله تعالى (... وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَفْدُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَّمٌ عَلَيْكُمْ ...) (٤) يبيّن أن كلمة تفادي تأتي بالمد والقصر يقول : والفاء يمد ويقصر، والقصر أكثر وينشد لمقاسي العبادي :

فدي لبني ذهل بن شيبنا يفتي **** إذا كان يوم ذوكوب أشهب (٥)

وفي قوله تعالى ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (٦) يستشهد أن التسكين يأتي التحريك في المجرور، يقول : وقد جاء الإسكان في المنصوب كما جاء في المجرور قال القائل :

كأن أيديهن بالقاع القرّ **** أيدي جوار يتعاطين الورق (٧)

١ - الحوفي: نفسه ١٦/١، وذكر ابن منظور شاهداً آخر :
فانصرفت وهي حسان مغضبة ورفعت بصوتها: هيا أبه
قال ابن السكيت : يريد أيا أبه . ثم أبدل الهمزة هاء ، ابن منظور : لسان العرب مادة أيا"
٢ - سورة البقرة آية ٢٥ .
٣ - ذكر ابن منظور ذلك البيت ونسبه إلي سيبويه . " لسان العرب مادة عمل "
٤ - سورة البقرة آية ٨٥ .
٥ - الحوفي: البرهان ٦٧/٢
٦ - سورة الجمعة آية ٧ .
٧ - الحوفي: البرهان ٩٠/٢ .

كما يبيّن أنهم أجازوا النصب في الواجب ، كما جاءت بعض القراءة في قوله تعالى:
 "أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" فقد قرأ ابن عامر " فيكون بالنصب يقول : وأيضاً فقد أجازوا
 النصب في الواجب أنشد سيبويه لطرفة ابن العبد:

لنا هَضْبَةٌ لا يدخلُ الدُّلُّ وسطَهَا **** ويأوي إليها المستجيرُ فيعصمها (١)
 وكذا الأعشى:

ثبت لا تجزوني عند ذاكم **** ولكن سيجزيني الإله فيعقبها (٢)
 وكذا المغيرة بن عمرة الحظلي:

سأترك منزلي لبني تميم **** وألحق بالحجاز فأسْتيرِحاً (٣)
 ثانياً: بعض الشواهد التي جاءت في النحو:

كما اعتمد في كشفه عن المسائل النحوية كثيراً على الشاهد الشعري، فهو يستشهد
 على أن كلمة النصارى جمع واحد هم نصران و نصارنه قال الشاعر:

فكلتا هما خرت واسجد رأسها **** كما سجدت نصارنه لم تحنف (٤)

كما يستشهد على أن " بغياء" مفعول من أجله يقول: و بغياء مفعول من أجله أي
 أن يكفروا للبغي أو من أجل البغي، وكفروا عامل فيه ومثله قول حاتم الطائي:

وأغفر عوراء الكريم ادخاره **** واعرض عن شتم اليتيم تكرم (٥)

١- الحوفي: البرهان ١٢٥/٢ وراجع الكتاب لسبويه ٤٠/٣.

٢- الحوفي: البرهان ١٢٦/٢ وراجع الكتاب لسبويه ٣٩/٣.

٣- الحوفي: البرهان ١٢٦/٢.

و راجع كتاب سيبويه ٣٩/٣ غير أن محقق الكتاب ذكر أن البيت للمغيرة بن حبناء .

٤- ذكر ابن منظور أن البيت لأبي الأخرز الحماني يصف ناقتين طأطأت رؤوسهما من الإعياء" اللسان: مادة " نَصَرَ"

٥- د. محمد عيد: النحو المصنفى نسبة لحاتم الطائي ٤٤٨.

أي أغفر عوراء الكريم لادخاره أو من أجل ادخاره^(١) وفي قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ...﴾^(٢) يقول: إلا بحبل من الله العامل في الباء، ضربت أي ضربت عليهم الذلة بكل حال إلا بحبل من الله، وقال: الفراء هو استثناء منقطع والعامل محذوف تقديره إلا أن يعتصموا بحبل من الله وأنشد^(٣):
رَأْتَنِي بِحَبْلِهَا فَصَدَّتْ مَخَافَةً **** وفي الحبل روعاء الفؤاد فروق
أراد رأيتني أقبلت، وهذا ضعيف في الآية لأن حذف الموصول لا يجوز مع أنه إذا صح معنى الكلام على غير حذف فليس لنا أن نحمله على حذف^(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿...فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...﴾^(٥)، يقول: يقال: أغريته بالشيء إغراءً وغري به غراً وغراءً وأصل الإغراء: اللصوص والغر اللصوقة وقال كثير في مدة^(٦).
إذا قيل مهلا قالت العين بالبكاء غراء و مدتها حوافل بهل^(٧).

وفي قوله تعالى ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ خُنُوعًا أَلْمَلِكِينَ﴾^(٨) يقول: أن تلقي أن في موضع نصب وكأنك قلت: اختر إما إلقاءً وإما إلقاءنا فإن نصب بمعنى اختر و جاز ذلك لأنه كلام فيه معنى الأمر، ويجوز أن تكون أن في موضع رفع

١- الحوفي: البرهان ٧٨/٢.

٢- سورة آل عمران آية ١١٢.

٣- البيت لحميد بن ثور الهذلي.

٤- الحوفي: البرهان ٢٤/٦.

٥- سورة المائدة آية ١٤.

٦- الحوفي: البرهان ١٠/٩.

٧- ذكر ابن منظور أن معنى يغري: كأن اللصق بالإغراء يقول: يقال: غرا هذا الحديث في صدري، بالكسر، يغري بالفتح كأنه ألصق بالإغراء. و غري بالشيء يغري غراً و غراءً وكذلك أغري به إغراءً و غراً و غري و أغراه به لا غير و الاسم الغروي، وقيل: الاسم الغراء بالفتح و المد و ذكر رواية أخرى يقول و منه قول الكثير:

إذا قلت: اسلووا غارت العين بالبكا ***** غراء و مدتها مدام حفل .

" ابن منظور اللسان مادة غرا "

٨- سورة الأعراف آية ١١٥.

والتقدير: إما إلقاءك مندوبة وإما إلقاءنا. ويقال: لم قلت أن مع إما في إما أن تلقى ولم تدخل في إما يعذبهم وإما يتوب عليهم، الجواب: لأن في إما أن تلقى معنى الأمر كأنه قيل: اختر إما أن تلقى أنت وإما أن تلقى نحن والكلام إذا كان فيه معنى الأمر مع إما فلا بد من أن لأن الأمر الغالب عليه الاستقبال فتدخل لتحقيق هذا المعنى وإذا كانت إما بمعنى الخبر لم يحتج إلى أن واسم كان مضمراً فيها ونحن فاصلة والملقيين الخبر، وإن شئت جعلته نحن توكيداً للمضمّر في نكون ومثال النصب في أن قوله تعالى ﴿... فَأِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً...﴾^(١)، أي تفعلون منا أو تآتون منا وكذلك فداء وقد جاء الرفع والنصب في بيت قال^(٢):

فسيروا فإمّا حاجةً تقضيانها **** وإمّا مقيلاً صالحاً أو معرساً
أمّا إذا جاءت فحكمها أن تكون مكررة ولا يحسن أن تخلفها تقول: إما تقوم
أو تقعد وقد جاء ذلك في الشعر:

فقلت لهن أمشين إمّا نلاقه كما قال أو تشفى النفوس فتعذرا

وفي قوله تعالى ﴿وَإِذَا كَأْلُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾^(٣)،

يقول: إذا ظرف مضاف إلى كالأو وهم في موضع نصب بكالوا والتقدير كالوا لهم وهو كما تقول: كلتك وصدقتك ولا يجوز وهبتك لما فيه من الإشكال، فإن قلت: وهبتك ديناراً كان، ومن قدر اللام محذوفة قال هو مثل قوله^(٤):

ولقد جنيتك أكمؤً وعسالقلا **** ولقد نهيتك عن بنات الأوبر^(٥)

١- سورة محمد آية ٤.

٢- الحوفي: البرهان ٦/١٢.

٣- سورة المطففين آية ٣.

٤- الحوفي: البرهان ٤/٢٨.

٥- راجع ابن منظور مادة "وَبَرَ" حيث أسند روايته للأحمر والأصمعي "الإنصاف" ٣١٩/٢.

و مثل قوله:

أمرتك الخبر فأفعل ما أمرت به **** فقد تركتك ذا مال و ذا نشب (١)
ثالثاً: بعض الشواهد التي جاءت في الأحكام الفقهية:

ففي قوله تعالى: (... فَإِنْ فَأَاءُ وَإِنْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (٢)

يقول: و أصل الفياء الرجوع و منه قوله عز وجل ﴿... حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ...﴾ (٣)، يهني حتى ترجع، و منه قول الشاعر:

ففاءت و لم تقض الذي أقبلت له **** و من حاجة الإنسان ما ليس قاضياً (٤)
رابعاً: بعض الشواهد التي جاءت في المعنى و التفسير:

يذكر شاهداً على معنى قوله تعالى " يعمهون " بمعنى يتحIRON، يقول: و يقال عمه إذا حار،
وأنشد أبو عبيده لرؤية:

و مهمه أطرافه في مهنة **** أعمى الهدى بالجاهلين العمه (٥)
كما بيّن أن معنى الساجد الواضح جبهته بالأرض و استشهد بقول كثير:

رهبان مدين و الذين رأيتهم **** سيكون من حذر الإله قعوداً
لو يسمعون كما سمعت كلامها **** خروا لعرزة خاشعين سجدوا

يقول و جعل زيد الخيل السجود التذلل و التطمأن فقال:

بجمع يضل في حجراته **** ترى الأكم فيه سجداً للحوافر (٦)

١- ذكر سيبويه و نسبه إلى عمرو بن معد يكرب الزبيدي: " الكتاب ١/٧".

٢ - سورة البقرة من الآية ٢٢٦.

٣- سورة الحجرات آية ٩.

٤- الحوفي: البرهان ٤/٤٦ ذكره الأستاذ عبد السلام هارون في معجم شواهد العربية ١/٤٢٠ و نسبه إلى ذي الرمة.

٥- ديوان رؤية ١٤٢ ط لبيج، الطبري ١/١٢٦ لرؤية بن العجاج.

٦- الحوفي: البرهان ٦/٤٦، اللسان " مادة فوق "

وفي قوله تعالى (... وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ...)^(١)

يقول: وإلى جنة عرضها السموات والأرض أي كعرض السموات السبع والأرضين السبع إذا ضم بعضها إلى بعض ووصف عرضها بعرض السموات والأرض تشبيهاً في السعة والعظم كما قيل: " مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ... " ^(٢) أي كبعثت نفس واحدة و مثله قول الشاعر:

كَأَنَّ غَدِيرَهُمْ بِجَنُوبِ سَيْلِي **** نَعَامُ قَاقٍ فِي بَلَدِ قَفَارِ ^(٣)

وفي قوله تعالى (وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) ^(٤) أي ويمنعون الناس منافع ما عندهم ويقال للماء الذي ينزل من السحاب ماعون وقال الأعشى:

بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا عُونُهُ إِذَا **** مَا سَمَاؤُهُمْ لَمْ تَغْمِ ^(٥)

وقول الراعي:

قوم على الإسلام لما يمنعون **** ما عونهم ويضيعوا التهليل ^(٦)

بهذا جمع الحوفي بين مناهج التفسير المتعددة، فجمع بين المنهج اللغوي بسماته التي اختلفت بالبحث في أصل الكلمة وموقعها الصوتي واشتقاقها وتصريفها ودلالاتها اللغوية وموقعها الإعرابي والتعلق اللفظي، وبين المنهج النقلي بسماته التي اختلفت بتفسير القرآن بالقرآن وبالسنة وأقوال العلماء مع بيان أسباب النزول والناسخ

١ - سورة البقرة آية ٢٥ .

٢ - سورة البقرة آية ٢٥ .

٣- ذكر ابن منظور أن البيت أنشده ابن الإعرابي لقطر الطهوي للسان مادة " عَنَقَ "

٤ - سورة البقرة آية ٢٥ .

٥- ذكر ابن منظور أن البيت للأعشى راجع لسان العرب مادة " مَعَنَ "

٦- ذكر ابن منظور أن البيت للراعي النميري وأورده برواية أخرى:

قوم على التنزيل لما يمنعون **** ما عونهم ويبدوا التنزيلا

ابن منظور " لسان العرب مادة " مَعَنَ " ، الحوفي: البرهان ٢٢/٢٨ .

والمنسوخ والمكي والمدني، وبين المنهج الفقهي بسماته التي تبحث في الأحكام الفقهية عن طريق الجمع بين أقوال أئمة المذاهب الفقهية ملتزماً في ذلك النص القرآني، وبين المنهج الكلامي بسماته، وبين المنهج الأدبي والحوفي في كل.

ذلك ملتزم بالنص القرآني، وتفسيره بهذا يعد موسوعة لغوية نقلية فقهية كلامية أدبية حتى أنك تقف أمام هذا التفسير حائراً متسائلاً كيف تم لعالم مثل الحوفي أن يجمع بين كل هذا؟ وهذا ما سوف يكشف عنه الباب التالي إن شاء الله.